الروابط الحجاجية في توقيع أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام إلى اسحق بن إسماعيل النيسابوري

Argumentative connectives in Imam Abu Muhammad (Hasan Al-Askari›s(AS Letters to Ishaq Ibn Isma›il Al-Aaysaburi

أ.د.عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي
جامعة الكوفة – كلية التربية الاساسية – قسم اللغة العربية

By: Prof. Abdul Elah Abdlu Wahab Al-Ardawy،
University of Kufa/College of Basic Education،
Department of Arabic

ملخص البحث

تعد التوقيعات أحد الفنون النثرية التي اقتصرت على الأدب العربي ، فالمؤشرات التاريخية تشير الى انه ولد من رحمه ثم نما وتطور فكانت الولادة في العصر الإسلامي والصبا في العصر الإسلامي ثم الرشد والنضج في العصر العباسي ،والحجاج في التوقيعات من المعايير الأساسية للتوقيع الأدبي الذي حاولنا في هذا البحث استكناه بعض آلياته متمثلة بـ (الروابط الحجاجية) من خلال مدونة تراثية عريقة تنتمي الى نصوص آل البيت عليهم السلام وهي(توقيع الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام الى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري) وفي ضوء ذلك قسم البحث على شقين : الأول : الإطار النظري اشتغل على فقرات عدة الأولى :حاولت مقاربة التوقيعات الأدبية لغة واصطلاحا ،والثانية :ترجمة إسحاق بن إسماعيل النيسابوري، والثالثة : مهاد نظري للروابط الحجاجية ، والثاني : الإطار التطبيقي وفيه خطوات إجرائية لمنهج الحجاج في نص التوقيع ،وقسم على :

١/ روابط التعارض الحجاجي

٢/ روابط التعليل الحجاجي

٣/ روابط العطف الحجاجي ،

ثم ختم البحث بخاتمة عرضت أهم نتائج البحث ، وأخيرا ثبت المصادر والمراجع .

Abstract

Singed letters is a kind of prose art, which was limited mainly to Arabic literature. Historical indicators suggest that it was formed in the womb of that literature, then it grew and developed till its birth in the Islamic era , then it reached the boyhood in the same era, and then adulthood and maturity in the Abbasid era.

Argument in signed letters is one of the basic standards of this art.This study tries to explain one of literary devices of this arts , that is the argumentative connectives.T study choses an ancient code that belongs to Ahlu Al-Bayt (peace be upon them) which can be regarded as a rich discourse material. This code represents Imam Abu Muhammad Hasan Al-Askari›s(AS) letters to Ishaq Ibn Isma›il Al-Aaysaburi.

The research is divided into two setions.The first section presents a theoretical background which falls into sub-sections .The first tries to define singed letters literary and contextually , the second tackles the letters sent to Ishaq Ibn Isma›il Al-Aaysaburi, and the third gives a theoretical survey to argumentative connectives .The second section is the practical part which explains the argumentative connectives in the letters.It is divided into : ١) appositive connective , ٢)explicative connective , and ٣) alternative connectives .The study ends with major findings and a list of references.

اولاً : الاطار النظري :

١/ فن التوقيعات الأدبية :

أ- التوقيعات لغة :

التوقيعات في اللغة مشتقة من التوقيع الذي هو بمعنى التأثير ، يقال : وقع الدبر ظهر البعير اذا اثر فيه ، وكذلك الموقع (كاتب التوقيع) يؤثر في الخطاب ،او الكتاب الذي كتب فيه حساً او معنى [١] وقيل ان التوقيع مشتق من الوقوع ، لأنه سبب في وقوع الأمر الذي تضمنه ، او لأنه إيقاع الشيء المكتوب في الخطاب أو الطلب فتوقيع كذا ، معنى إيقاعه [٢] قال الخليل : التوقيع في الكتاب الحاق فيه بعد الفراغ منه او اشتقاقه من قولهم وقعت الحديقة بالميقعة ، وهي المطرقة إذا ضربتها ، وحمار موقع الظهر : إذا أصابته في ظهره دبرة ، والوقيعة ، نقرة في صخرة يجتمع فيها الماء وجمعها : وقائع فكأنه سمي توقيعاً ، لأنه تأشير في الكتاب أو لأنه سبب وقوع الأمر وإنفاذه ، من أوقعت الأمر فوقع[٣] وقال ابن الانباري ((توقيع الكتاب في الكتاب المكتوب ان يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ، ويحذف الفضول ، وهو مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير ، فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكده ويوجبه))[٤]

ب- التوقيع اصطلاحاً :

لقد اكتسبت التوقيعات في الإسلام معنى اصطلاحياً يرتبط بالمعنى اللغوي الذي ذكرناه سابقاً فأصبحت تستعمل لما يوقعه الكاتب على القضايا او الطلبات المرفوعة إلى الخليفة أو السلطان أو الأمير فكان الكاتب يجلس بين يدي الخليفة في مجالس حكمه فإذا عرضت قضيته على السلطان امر الكاتب ان يوقع بما يجب إجراؤه ، وقد يكون الكاتب احياناً السلطان نفسه [٥] . يقول البطليوسي في تعريف التوقيع اصطلاحاً : ((وأما التوقيع فان العادة جرت ان يستعمل في كل كتاب يكتبه الملك او من له أمر ونهي في اسفل الكتاب المرفوع اليه ، او على ظهره ، او في عرضه بإيجاب ما يسأل او منعه ، كقول الملك ينفذ هذا ان شاء الله ، او هذا صحيح وكما يكتب الملك على ظهر الكتاب ، لترد على هذا ظلامته او لينظر في خبر ذلك او نحو ذلك)) [٦] ويقول ابن خلدون ((ومن خطط الكتابة التوقيع ، وهو ان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها ، متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وابلغه، فإما أن تصدر كذلك ، وأما ان يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ، ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه))[٧] .

وتطور مفهوم التوقيعات في العصر العباسي واكتسب دلاله أدبية فأصبحت تطلق على تلك الأقوال البليغة الموجزة المعبرة التي يكتبها المسؤول في الدولة أو يأمر بكتابتها على ما يرفع اليه من قضايا او شكايات متضمنة ما ينبغي اتخاذه من إجراء نحو كل قضية أو مشكلة ، وهي بهذا المفهوم أشبه ما تكون بتوجيه المعاملات الرسمية في الوقت الحاضر[٨]

ج- أنواع التوقيعات :

ان التوقيعات بمجملها لا تخرج عن الأنواع الآتية[٩]

١- قد يكون التوقيع آية قرآنية تناسب الموضوع الذي تضمنه الطلب أو استقلت علية القضية

٢- قد يكون التوقيع بيت شعر

٣- قد يكون مثلاً سائراً

٤- وقد يكون حكمة

٥- وقد يكون غير ما ذكر

د ــ فن التوقيعات عبر العصور التاريخية :

١- التوقيعات في العصر الجاهلي : التوقيعات فن أدبي نشا في أحضان الكتابة في التدوين و ارتبط بهما ،ولذلك لم يعرف العرب في الجاهلية التوقيعات الأدبية ، بسبب ان الكتابة لم تكن شائعة بينهم ،بل كان الذين يعرفون الكتابة في هذا العصر قله نادرة فالأدب الجاهلي في مجمله يكون شفاهيا وليس كتابيا[١٠]

٢- التوقيعات في صدر الإسلام :

شاعت الكتابة في عصر صدر الاسلام واصبح الذين يجيدونها يمثلون نسبة كبيرة ، فضلاً عن استعمال الكتابة في تحبير الرسائل وتبليغ أوامر الخليفة وتوجيهاته الى الولاة والقواد في مختلف انحاء الدولة الإسلامية [١١] ونتيجة لشيوع الكتابة وصلت الينا توقيعات لا باس في عدتها من الخلفاء الراشدين مع ملاحظة أن التوقيعات لم تعرف في عهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم بسبب إن الكتابة لم تكن شائعة في عهده وقيل انه لم يكتب بالعربية غير سبعة عشر شخصاً [١٢] ونلحظ في هذا العصر ان التوقيعات التي أثرت عن الخلفاء الراشدين تمتاز ببلاغة الاداء ووجازة التعبير ، وموافقتها للصواب وقد يكون التوقيع من الخليفة آية قرآنية أو مثلا سائرا أو حكمة او قولا بليغاً يجري مجرى المثل او الحكمة [١٣] كذلك نرى ان التوقيعات في عصر صدر الإسلام كانت قليلة جدا اذا ما قورنت بالعصور التالية وبما يعزى السبب في ذلك أنها لا زالت في بداية النشأة والتطور [١٤]

٣- التوقيعات في العصر الأموي :

عدت التوقيعات في العصر الأموي فناً أدبياً بعد ان كثر استعمالها وشاعت إذا اعتاد كل خليفة أموي او بعض الأمراء والولاة والقواد ان يوقع على الرسائل التي ترد اليه بعد ان يطلع عليها ويعرف مضمونها [١٥] وقد وصلت نماذج كثيرة لتوقيعاتهم مبثوثة في المصادر القديمة .

٤- التوقيعات في العصر العباسي :اصاب التوقيعات الأدبية في العصر العباسي الذيوع والانتشار بسبب ازدهار الكتابة الفنية وتعدد أغراضها وحلت محل الخطابة في كثير من شؤون الدولة وقضاياها ، واصبح الكاتب البليغ مطلباً من مطالب الدولة تحرص عليه وتبحث عنه لتسند اليه عمل تحرير المكاتبات واصبح لا يحظى بالوزارة الا ذوو الأقلام الراقية من الكتاب والبلغاء المترسلين كالبرامكة والفضل بن الربيع والفضل والحسين ابني سهل وغيرهم من الكتاب الذين جمعوا بين الوزارة والكتابة الأدبية البليغة [١٦] كما اصبح للتوقيعات ديوان خاص سمي بديوان التوقيعات اسند العمل فيه الى بلغاء الأدباء والكتاب ممن عرفوا بالشهرة وبلاغة القول وشدة العارضة وحسن التأني للأمور والمعرفة بمقاصد الأحكام وتوجيه القضايا .

هـ - معايير التوقيع الأدبي :[١٧]

ليس كل توقيع يصلح ان يكون توقيعاً أدبياً ، وإنما لا بد من التوقيع من المعايير الاتية :

١- الإيجاز وهو ان تكون ألفاظه قليلة معدودة ذات معان غزيرة

٢- البلاغة وهو ان يكون التوقيع مناسباً للحالة او القضية التي قيل فيها

٣- الإقناع وذلك أن يتضمن التوقيع من وضوح الحجة وسلامتها ما يحمل الخصم على التسليم ومن قوة المنطق وبراعته ما يقطع على صاحب الطلب عودة المراجعة .

٢- ترجمة اسحق بن إسماعيل النيسابوري :

اسحق بن إسماعيل النيسابوري عدوه من ثقات أصخاب ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام ولا خلاف فيه[١٨] وذكر الكشي في رجاله انه حكى بعض الثقات بنيسابور انه خرج لإسحق بن إسماعيل من أبي محمد عليه السلام توقيع وذكر التوقيع في طول يتضمن العتب عليه وذم سيرته وان كان يشمل على مدحه والدعاء له مرة بعد مرة هذا ما استطعنا العثور عليه من ترجمة لاسحق بن إسماعيل النيسابوري في المصادر التي اطلعنا عليها وهي بجملتها تؤكد وثاقته وكونه من أصحاب أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام . [١٩]

٣/ الروابط الحجاجية :

ارتبط مفهوم الروابط في عدة دراسات بالمباحث النحوية والدلالية من دون النظر الى وظيفتها الحجاجية والتداولية ، إذ عد بعض الدارسين ((إن دورها لا يتجاوز الربط بين الجمل والقضايا أما بعدها الحجاجي فقد برز مع ديكرو في إطار صياغته للتداولية المدمجة وهي النظرية التداولية التي تشكل جزءاً من النظرية الدلالية))[٢٠] ، اذ لم يغفل ديكرو وزميله في أثناء صياغتهما لـ (النظرية الحجاجية في اللغة) هذا الجانب المهم الذي يتمركز في ابنية اللغة بوصفها ظاهرة لغوية مهمة جدا لها ارتباط بطريقة مباشرة في توجيه الحجاج من خلال إحداث الانسجام داخل الخطاب والدفع باتجاه تحقيق الإقناع عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلم بمعنى انها عناصر لغوية تلعب دوراً أساسيا في اتساق النص وانسجامه ، وربط أجزائه شكلاً ومضمونا من اجل تحقيق الوظيفة التوجيهية الحجاجية للملفوظات [٢١] وبحسب تصور ديكرو فقد أشار شكري المبخوت الى تنوع أشكال الربط الحجاجي بقوله ((إذا كانت الوجهة الحجاجية محددة بالبنية اللغوية ، فإنها تبرز في مكونات ومستويات مختلفة من هذه البنية فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة اي هو عامل حجاجي في عبارة ديكرو فيقيدها بعد ان يتم الإسناد فيها ومن هذا النوع نجد النفي والاستثناء المفرغ والشرط والجزاء وما الى ذلك مما يغير قوة الجملة دون محتواها الخبر ونجد مكونات اخرى ذات خصائص معجمية محددة تؤثر في التعليق النحوي وتتوزع في مواضيع متنوعة من الجملة الحجاجية اللغوية ، ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بمختلف معانيها والأسوار

(بعض ، كل ، جميع) وما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التقليل او ما تخوض لوظيفة من الوظائف مثل (قط) او (ابدا) [٢٢] ومن هنا ميز ابو بكر العزاوي بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية ((فالروابط الحجاجية تربط بين قولين او بين حجتين على الأصلح (أو اكثر) وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة))[٢٣] كما فصل العزاوي القول في طبيعة هذه الروابط وقسمها على أقسام هي[٢٤]

- الروابط المدرجة للحجج (حتى ، بل ، لكن ، مع ذلك ، لان)
- الروابط المدرجة للنتائج (اذن ، لهذا ، بالتالي)
- الروابط التي تدرج حججاً قوية (حتى ، بل ، لكن ، لاسيما)
- روابط التعارض الحجاجي (بل ، لكن ، مع ذلك)
- روابط التساوق الحجاجي (حتى ، لاسيما)

من خلال ما سبق تبين ان الروابط اللغوية تسهم في انسجام الخطاب وتماسكه من خلال ربطها بين القيمة الحجاجية لقول ما وبين النتيجة اي الربط بين قضيتين وترتيب أجزاء القول ومنحها القوة المطلوبة بوصف هذه الأشياء حججاً في الخطاب [٢٥] لقد أثرت هذه الروابط تأثيراً كبيراً في أدلجة الحجاج في توقيع الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام بالخاصية الإقناعية والتأثيرية وهذا ما سنراه في الإطار التطبيقي .

ثانياً: الإطار التطبيقي : الروابط الحجاجية :

يعد خطاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام مدونة تراثية فكرية ، فهو من اعرق النصوص الأدبية وافصحها وهذا ديدن أئمة اهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ومن ذلك الخطاب الثر توقيعه الى اسحق بن إسماعيل النيسابوري الذي شكل مقاربة إصلاحية في الدين والدولة بنيت على أسس تبليغية على وفق مقدمات خطابية تواصلية تحاور الناس عبر بوابة الإقناع والتأثير في المتلقي واعتماد استراتيجيات توجيه عقل المخاطب وروحه وضميره بعيداً عن العنف والإكراه والمغالطة وتوقيع الإمام الحسن العسكري عليه السلام الى اسحق بن إسماعيل النيسابوري يمكن مقاربته حجاجياً من خلال دورها في إقناع الآخر والتأثير فيه ، فقد توافرت في هذا التوقيع مجموعة لا باس بها من الروابط التي تميزت بفاعليتها الحجاجية وتوجيه دلالة المحاججة، لذلك سوف نعمد في هذه الأوراق البحثية إلى إعطاء صورة مكثفة لأهم الروابط الحجاجية التي ترد في هذا التوقيع معتمدين في تقسيمها وفق ما يأتي[٢٦]

١- روابط التعارض الحجاجي
٢- روابط التعليل الحجاجي
٣- روابط العطف الحجاجي

أ ـــ روابط التعارض الحجاجي / الرابط الحجاجي (لكن) :

وهي من الأدوات النحوية التي حددها العلماء العرب لنفي كلام واثبات غيره وهي ((حرف استدراك

و معنى الاستدراك أن تنسب حكماً لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني ، مثل ذلك فتداركت بخبره سلباً وان إيجاباً .. وتقع لكن إلا بين متنافيين بوجه ما))[٢٧] ومن هذا المنطلق فان هذا الأداة تقيم علاقة ربط بين قولين متناقضين أو متنافيين هو من الناحية الحجاجية ربط حجاجي تداولي بين المعطى والنتيجة[٢٨] وتدل الخطاطة الحجاجية الموضحة التي قدمها أصحاب النظرية الحجاجية للأداة (لكن) الى إن التلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين:

١ ـ إن المتكلم يقدم (أ) و (ب) بوصفها حجتين ، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معنية (ن) ، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها أي (لا – ن) .

٢ ـ إن المتكلم يقدم الحجة الثانية بوصفها الحجة الأقوى وبوصفها توجه القول او الخطاب برمته[٢٩] .

ومن هذه الخطاطة نجد ان وظيفة (لكن) ومثلها (بل) الحجاجيتين تعمل على قلب الفرضية بين ما يتقدم الرابط وما يتبعه فما يسبق الرابط (لكن) يتضمن حجة (أ)،(ظاهرة) تخدم نتيجة (ضمنية) متوقعه (ن) وما بعد الرابط يتضمن حجة (ب) (ظاهرة) تخدم نتيجة (ضمنية) مضادة (لا – ن) للنتيجة السابقة (ن) وهنا يكون دور الرابط الحجاجي (لكن) في الربط بين قولين متنافيين من جانب وإعطاء الحجة الثانية التي تأتي بعده بالقوة اللازمة التي تجعلها أقوى من الحجة الأولى التي سبقت الرابط ،ونتيجة لذلك فقد عمل الرابط على توجيه القول بجملة نحو النتيجة المضادة (لا – ن)[٣٠] .

وقد ورد ذكرها في توقيع الإمام الحسن العسكري عليه السلام في قوله ((يا اسحق ليس تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور))[٣١] الذي نلحظ فيه الرابط الحجاجي (لكن) قد عمل تعارضا حجاجياً بين ما تقدم وما تأخر عنه فالقسم الأول الذي سبق الرابط قد تضمن حجة تخدم نتيجة ضمينة (ن) من قبيل ان الإمام الحسن العسكري عليه السلام (يخاطب اسحق إن من خرج في هذه الدنيا ليس أعمى البصر) أما القسم الثاني الذي جاء بعد الرابط فقد تضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة (لا – ن) اي تخدم نتيجة (ان العمى ليس في البصر هو في القلوب التي في الصدور فهي ممتلئة بالضلالة والضياع) فما أحدثه الرابط (لكن) هو استدراك ورفع ما يتوهم ثبوته ، فحتمية عمى القلوب تلقي بظلالها الحجاجية على النتيجة السابقة مما يكسبها فيضاً من التعارض الحجاجي الذي يوجه القول برمته الى أبعاد غيبية يدركها آل البيت عليهم السلام .

وفي كل ما سبق مبعثه محادثة ايدولجية تغذيها أدلجة تداولية راسخة ويمكن لنا توضيح هذه المداولة الحجاجية من خلا هذه الخطاطة البيانية الآتية :

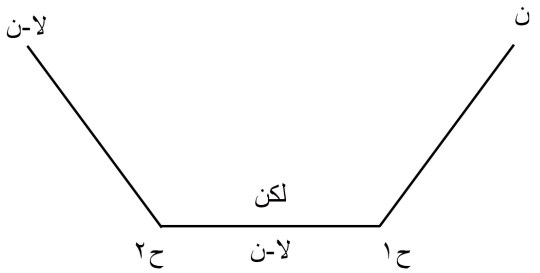

ب / الرابط الحجاجي (بل)

ذكر الرماني في فحوى هذه الأداة ((هي من الحروف الهوامل ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني))[٣٢] وعليه فهي من أدوات الربط التي تستعمل للإبطال والحجاج مثلها مثل (لكن) ولهذا الرابط حالان :

الأول : ان يقع بعد مفرد

الثاني : ان يقع بعده جملة ما فان وقع بعده مفرد دخله حالان :

أ- إن تقدمه أمر أو إيجاب نحو (اضرب زيداً بل عمراً) و (قام زيد بل عمرو) فانه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه ولا يحكم عليه بشيء ويثبت الحكم لما بعده .

ب- إن تقدمه نفي او نهي نحو (ما قام زيد بل عمرو) و (لا تضرب زيداً بل عمراً) فانه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده اي إثبات الثاني ونفي الأول .

أما إذا وقع بعد (بل) جملة فيكون معنى الاضراب:

أ- أما الإبطال نحو قوله تعالى ((أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)[٣٣]

ب- وأما الانتقال من غرض الى غرض[٣٤] نحو قولة تعالى ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤)وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)[٣٥] ومما تقدم يتضح ان (بل) تعمل على (لكن) في المنحى الحجاجي الذي يصفها بالاستدراك والتوكيد والقصر والإضراب والإبطال[٣٦] ونجد حجاجية (بل) في قول الإمام الحسن العسكري عليه السلام (ان الله بمنِّه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم بل رحمة منه – لا اله إلا هو – عليكم)[٣٧] إنّ (بل) الواردة في هذه المثال هي من النمط الحجاجي الذي أفاد التوكيد فقد توسطت بين حجتين فيما تقدمها كان منفياً مؤكداً بـ(لم) في حين جاءت الحجة التي تلتها مثبتة (برحمة منه) وبذلك يكون الرابط قد أقام علاقة حجاجية بين نفي احتمال (أن يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم) وبين إثبات حقيقة ان يكون الامر / فرض الله الفرائض ، إذ إن (فرض الفرائض) المنظور الظاهر لم يكن لحاجة منه سبحانه وتعالى إلى عباده ، وإنما هي في المنظور الحجاجي المؤكد بنتيجة مضادة (لا – ن) أن تكون رحمة منه / الله سبحانه وتعالى عليكم / عباده، وهذا كله يمثل الفضاء العلائقي الحجاجي بين العبد وربه المرتكز على البنى المعرفية / العقدية / الروحية.

٢- روابط التعليل الحجاجي : الرابط الحجاجي المتمثل بـ (لام التعليل) :

من أدوات الربط التي تدخل على الفعل المضارع فيكون ما بعدها علة لما قبلها ويقال لهذا اللام : لام العلة ولام السبب ، ولام كي ، لان معنى التعليل فيها راجع الى معنى الاختصاص فأن قلنا : جئتك للإكرام دلت اللام على أن المجيء مختص بالإكرام اذا الإكرام سببه دون غيره[٣٨] فهذا الرابط يستعمله الإمام الحسن العسكري عليه السلام من اجل التبرير او التعليل لفعله فهو نتيجة الدعوى التي يقصدها المرسل ، فعليه هي من الروابط التي تربط بين النتيجة والحجة لدعم النتيجة وتبريرها ، ومن ذلك

قوله عليه السلام : ((إن الله بمنِّه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم، بل رحمة منه – لا اله إلا هو – عليكم ليميز الخبيث من الطيب وليبتلي ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم))[٣٩] ويمكن هنا تحليل هذه المتوالية الحجاجية التراتبية بـ(لام) التعليل كالآتي :

النتيجة : لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه اليكم بل رحمة من – لا اله إلا هو – عليكم

الرابط الحجاجي : لام التعليل

الحجة ١ : ليميز الخبيث من الطيب

الحجة ٢ : وليبتلي ما في صدوركم

الحجة ٣ : وليمحص ما في قلوبكم

٣ / روابط العطف الحجاجي

تتنسق مجموعة من الحروف ببعد حجاجي مهم من خلال ربطها بين الحجج والنتائج والتنسيق بينهما من أجل التعليل والتفسير والتبرير ، ومن هذه الروابط احرف العطف (الواو ، الفاء ، ثم) إذ أنها تقوم بدور حجاجي كبير ، فالملاحظ انها تقوم بالربط بين قضيتين (حجتين) لنتيجة واحدة ووصفها سلماً حجاجياً يخضع هذه الحجج الى تراتبية معينة بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية ، فأنها تسهم أيضا في توضيح المعنى المقصود ولاسيما إذا استعمل كل حرف واستغلت وظيفته في الموضوع المناسب فذلك يزيد من الإثبات على المعنى من جهة ، ويلقي على الخطاب نوعاً من التنظيم والانسجام مرة أخرى[٤٠] وفي هذا المورد سنحاول أن نبين عمل هذه الروابط في توقيع الإمام الحسن العسكري عليه السلام الى اسحق بن إسماعيل النيسابوري ، وبيان مستوى دعمها لعمل المحاججة .

أ/ الرابط الحجاجي (الواو)

يشير هذا الرابط الى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين) ويستعمل حجاجياً بوصفه رابطاً عاطفياً على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعضها الآخر ، بل يعمل على رص الحجج وتماسكها وتقويتها فضلا عن التدرجية او السلمية في ترتيب الحجج وعرضها[٤١] ومن الشواهد في نص توقيع الإمام الحسن العسكري عليه السلام الى اسحق بن إسماعيل النيسابوري ، قوله عليه السلام (وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم ، عن الحق تصدفون وبالباطل تؤمنون وبنعمة الله تكفرون[٤٢] فالرابط الحجاجي (الواو) قام بالربط والوصل بين الحجج ، وعمل أيضا على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها ، وهي (واين تذهبون كالانعام على وجوهكم) كما عمل على حصول الترادفية في النتيجة الواحدة وهذا الربط النسقي بين الحجج قد أضفى سلمية تدرجية باتجاه الحجة الأقوى بشكل عمودي.

«ن» وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم

ق١ – عن الحق تصدفون

ق٢ – وبالباطل تؤمنون

ق٣ – وبنعمة الله تكفرون

وهنا يتضح ان الحجة الأولى هي الحجة الأقوى مقارنة بالحجج التي سبقتها لخدمة النتيجة المعروضة لورودها في اعلى السلم الحجاجي . ومن تمثلات (الواو) الحجاجية قوله علية السلام (لتسابقوا الى رحمة الله ، ولتتفاضل منازلكم في

جنته ففرض عليكم الحج والعمرة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية وجعل لكم باباً تستفتحون به أبواب الفرائض وباباً الى سبيله))[٤٣]

ويمكن بيان السلم الحجاجي في الآتي : « ن «لتسابقوا الى رحمة الله ولتفاضل منازلكم في جنته

ق١ الحج والعمرة

ق٢ وإقامة الصلاة

ق٣ وإيتاء الزكاة

ق٤ والصوم

ق٥ والولاية

فالحجج المترادفة قد اتسقت واتحدت باتجاه دعم النتيجة المطروحة وتقويتها بقوة الرابط (الواو) الذي أفاد التعليل والتبرير لمضمون النتيجة (لتسابقوا الى رحمة الله ولتتفاضل منازلكم في جنته) كما اشتغل الرابط على التراتبية وإدراج الحجج بشكل عمودي .

ومنه قوله عليه السلام (الحمد لله افضل ما حمده حامد الى ابد الآبد بما من الله عليك من رحمته ونجاك من الهلكة وسهل سبيلك على العقبة))[٤٤]

فهنا متوالية حجاجية نسقية تدعم النتيجة وتبرزها بقوة الرابط (الواو) الذي دل على التعليل والتبرير لمضمون النتيجة (الحمد لله افضل ما حمده حامد الي ابد الآبد) كما عمل الرابط على التدرجية والسلمية باتجاه الحجة الاقوى وبشكل عمودي .

« ن « الحمد لله افضل ما حمده حامد الى ابد الابد

ق١ من الله عليك رحمته

ق٢ ونجاك من الهلكة

ق٣ وسهل سبيلك الى العقبة

ومنه قوله عليه السلام (ففرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومآكلكم ومشاربكم))[٤٥] فنلحظ فيه تدرجية حجاجية تشد علائقها (الواو) الرابطة التي أفادت التعليل والتبرير لمضمون النتيجة (ففرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها ليحل عملكم من وراء ظهوركم)

« ن « ففرض عليكم لأوليائه .... ليحل لكم ما وراء ظهوركم

ق١ أزواجكم

ق٢ وأخوانكم

ق٣ ومأكلكم

ق٤ ومشربكم

ب- الرابط الحجاجي (الفاء)

من حروف العطف التي تضطلع بمهمة حجاجية ، إذ أنها تربط بين النتيجة والحجة من اجل التعليل والتفسير فهي أداة ربط تفيد التعليل والاستنتاج في الخطاب الحجاجي التداولي ومن ثم فهي تجمع بين قضيتين متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الأحداث ، فضلاً عن الدلالة على الترتيب والاتصال ، واكثر ورودها كون ما بعدها او المعطوف متسبباً عما قبله[٤٦]ومن أمثلتها قوله عليه السلام ((ونعتد بكل نعمة ينعمها الله تبارك وتعالى عليهم ، فأتم الله عليك بإسحاق وعلى من كان مثلك – ممن قدره الله وبصره بصيرتك نعمته))[٤٧] فهنا نجد الرابط (الفاء) قد عمل على الترتيب والاتصال / التسارع في إتمام النعمة من الله سبحانه وتعالى على اسحق ومن

كان مثله من دون مهلة ما إذا أفادت التعقيب مباشرة .

الخاتمة

كان من منن الله علينا أن يسر لنا إنجاز هذا البحث والنظر في الحجاج بوصفه منهجاً مؤطراً لتحليل الخطاب عبر بنيته وأساليبه وبعد ان انتهينا من الاشتغال في الخطوات الإجرائية لهذا المنهج في مدونة تراثية هي توقيع الإمام الحسن العسكري عليه السلام لابد لنا أن نلملم شتات بحثنا ونعرضها بشيء من التكثيف بما يأتي :

- برزت التوقيعات كأحد الفنون النثرية التي اقتصرت على الأدب العربي ، وعليه كان لابد من مقاربتها لغة واصطلاحاً في المنظومة المعرفية
- ارتكز فن التوقيعات على مؤشرات تاريخية ولد من رحمها ثم نما وتطور فكانت الولادة في العصر الإسلامي والصبا في العصر الإسلامي ثم الرشد والنضج في العصر العباسي .
- لكي يكون التوقيع أدبياً فلا بد له من معايير واضحة تحدد خصائصه الجمالية التي ينماز بها والتي تبنى البحث تحديدها بدقة .
- اشتغل البحث على ترجمة حياة اسحق بن إسماعيل النيسابوري وان كانت ترجمته قليلة لقلة المصادر التي ترجمت له ترجمة وافيه ثم بيان وثاقته في المصادر المعتمدة .
- اعتمد المنجز النصي في خطابه على الحجاج اللغوي بوصفه ظاهرة لغوية نجدها في كل قول ، وفي كل خطاب بحسب ديكرو
- كشفت لنا المدونة عن بعض الآليات اللغوية الحجاجية من خلال الاعتناء بحروف الربط ، وحسن اختيارها وأماكن تواجدها في النفس من اجل توجيه الكلام نحو آفاق واضحة يرومها الباحث منذ البداية وهذا ما يعرف بـ (الروابط الحجاجية)
- كان دور الروابط الحجاجية في سياق الكلام التأثير والإقناع وانتقاء مواضعها في الخطاب النصي من اجل هذه الغاية ، وتوصيل المقاصد الحجاجية التي يريدها ، لذلك أعطى الإمام الحسن العسكري عليه السلام هذه الروابط اللغوية دوراً كبيرا في تأدية المعنى ، وانسجام الكلام لتنحصر وظيفتها الحجاجية داخل اللغة مما يمنح الخطاب دفعاً قوياً ومؤثراً .

الهوامش

١- ينظر لسان العرب ٤٠٦/٨ مادة (وقع) وتاج العروس ٥٢٥/١١ ، وزهر الأكم في الأمثال و الحكم : ٢٢٠/٢، وتاريخ آداب اللغة العربية :٢٥

٢- ينظر تاج العروس : ٥٢٢/١١ ، وزهر الأكم : ٢ / ٢٢٠

٣- الاقتضاب في شرح أدب الكاتب : ١٩٦/١

٤- لسان العرب :٤٠٦/٨ مادة وقع ،وينظر تهذيب اللغة : ٣٥/٣-٣٦ مادة (وقع)

٥- ينظر : تاريخ آداب اللغة العربية : ٢٥

٦- الاقتضاب في شرح أدب الكاتب : ١٩٥/١٠

٧- مقدمة ابن خلدون : ٦٨١ .

٨- ينظر فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي :بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي

٩- ينظر المرجع نفسه : بحث منشور على الأنترنت على موقع مجلة الأديب العربي .

١٠ ينظر فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي :بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي

١١- ينظر المرجع نفسه بحث منشور على الأنترنت على موقع مجلة الأديب العربي

١٢- ينظر العقد الفريد : ١٥٧/٤

١٣- ينظر فن التوقعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي بحث منشور على الأنترنت على موقع مجلة الأديب العربي

١٤- ينظر المرجع نفسه بحث منشور على الأنترنت على موقع مجلة الأديب العربي

١٥- ينظر المرجع نفسه بحث منشور على الأنترنت على موقع مجلة الأديب العربي

١٦- ينظر فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي :بحث منشور على الأنترنت على موقع مجلة الأديب العربي

١٧- ينظر المرجع نفسه بحث منشور على الأنترنت على موقع مجلة الأديب العربي

١٨- ينظر رجال الطوسي ٣٩٧: ، وخلاصة الأقوال: ٥٨ ،واختيار معرفة الرجال: ٨٤٤/٢ ،ومعجم رجال الحديث ١٩٧/٣ ،أعيان الشيعة ٢٦٤/٣،ومنتهى المقال في أحوال الرجال ١٤/٢ ،ورجال ابن داود ٤٨

١٩- ينظر: اختيار معرفة الرجال : ٨٤٤/٢

٢٠- معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي ١٩١

٢١- ينظر رسائل الإمام عليه السلام في نهج البلاغة – دراسة حجاجية : ٩٣ ـ ٩٤

٢٢- ينظر : نظرية الحجاج في اللغة العربية ضمن كتاب (اهم نظريات الحجاج) ٣٧٧

٢٣- الحجاج في اللغة : ١٤

٢٤- ينظر :المرجع نفسه: ٦٥

٢٥- ينظر : رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة . دراسة حجاجية : ٩٨ .

٢٦- رسائل الإمام علي في نهج البلاغة – دراسة حجاجية : ٩٨ .

٢٧- الجني الداني في حروف المعاني ٥٩١ .

٢٨- رسائل الإمام علي في نهج البلاغة – دراسة حجاجية : ٩٩ .

٢٩- ينظر : اللغة والحجاج : ٥٨ .

٣٠- ينظر : رسائل الإمام علي (ع) في نهج البلاغة – دراسة حجاجية ٩٩ .

٣١- تحف العقول : ٤٨٤

٣٢- معاني الحروف : ٧١

٣٣- المؤمنون : ٧٠

٣٤- ينظر : اللغة والحجاج : ٦١

٣٥- الأعلى : ١٤ – ١٦

٣٦- ينظر : رسائل الإمام علي في نهج البلاغة – دراسة حجاجية : ١٠٥

٣٧- تحف العقول : ٤٨٥

٣٨- ينظر الجني الداني في حروف المعاني : ١٠٩

٣٩- تحف العقول : ٤٨٥

٤٠- ينظر : الحجاج في كتاب المثل السائر (رسالة ماجستير) : ٩٣

٤١- ينظر : رسائل الإمام علي (ع) في نهج البلاغة – دراسة حجاجية:١٢٣

٤٢- تحف العقول ٤٨٥

٤٣- تحف العقول : ٤٨٥

٤٤- تحف العقول : ٤٨٤

٤٥- تحف العقول : ٤٨٥

٤٦- ينظر : رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة : دراسة حجاجية : ١٢٤٠

٤٧- تحف العقول : ٤٨٤

.

المصادر والمراجع

١- القران الكريم

٢- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحقيق : مهدي رجائي ، مؤسسة آل البيت لحياء التراث (د.م) (د.ت)

٣- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، البطليوسي (ابو محمد عبد الله ابن محمد ت٥٢١هـ) تحقيق : مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨١م – ١٩٨٣م

٤- اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، د. حمادي صمود ، ط٢ منشورات كلية الآداب ،منوبة ، تونس ١٩٩٨م .

٥- تاج العروس (الزبيدي ت.١٢٠٥هـ) ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤م

٦- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، ط١،مطبعة الهلال ، مصر ،١٩٠٤م

٧- تحف العقول عن ال الرسول (ص) ، ابن شعبه الحراني (ت القرن الرابع هجري) تصحيح وتعليق : علي اكبر غفاري ، ط٢،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة الى جماعة المدرسين ،قم،١٤٠٤هـ

٨- تهذيب اللغة ، الأزهري (ابو منصور محمد بن احمد ت.٣٧٠هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون وآخرين ، ط١ ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ،١٣٨٤هـ -١٩٦٤م

٩- الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي (بدر الدين حسن بن قاسم) تحقيق : فخر الدين قباوه و محمد، (د.ت)

ندیم فاضل ، ط١،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م .

١٠- الحجاج مفهومه مجالاته ، حافظ إسماعيل علوي وآخرون ،ط١، عالم الكتب الحديث ، اربد ،الأردن ٢٠١٠م

١١- الحجاج في كتاب المثل السائد لابن الاثير ، يعمرانن نعيمة (رسالة ماجستير) كلية الآداب واللغات ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ٢٠١٢م

١٢- خلاصة الأقوال ، العلامة الحلي (ت٧٢٦ هـ) تحقيق :الشيخ جواد الفيومي ، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٧هـ

١٣- رجال ابن داود ، ابن داود الحلي (ت٧٤٠هـ) تحقيق وتقديم : محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م

١٤- رجال الطوسي ، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق : الشيخ جواد الفيومي ، ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ١٤١٥هـ

١٥- رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة حجاجية ، رائد مجيد جبار الزبيدي ، (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٤هـ ،٢٠١٣م

١٦- زهر الأكم في الأمثال والحكم ،اليوسي (ت١١٠٢ هـ) تحقيق : د. محمد حجي ود . محمد لخضر ، ط١، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب

١٧- العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي (ابو عمر احمد بن محمد ت٣٢٧هـ) ، تحقيق : احمد امين واحمد الزين وإبراهيم الابياري وعبد السلام محمد هارون ، ط٣، لجنة التاليف والترجمة النشر ، القاهرة ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م

١٨- فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي و العباسي ، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، المجلد (١٣) العدد (٢٢) نسخة من منشورة على موقع مجلة الأديب العربي على الأنترنيت

١٩- لسان العرب ، ابن منظور (ت٧١١هـ) نشر أدب الحوزة ، (د.م) ، ١٤٠٥هـ

٢٠- اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، ط١ ، العمدة في الطبع ، المغرب ٢٠٠٦م

٢١- معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين ١٩٨٩م – ٢٠٠٠م ، عمر بلمخير ، (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م

٢٢- معاني الحروف ، الرماني (ابو الحسن علي ابن عيسى) تحقيق وتقديم : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط٣ ، دار الشروق ، جدة ، ١٩٨٤م

٢٣ مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، تحقيق : د. علي عبد الواحد وافي ، ط٢،دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر ، مصر ، (د.ت)

٢٤ منتهى المقال في أحوال الرجال ، الشيخ محمد بن اسماعيل المازندراني ، تحقيق : مؤسسة (عين) لإحياء التراث ،ط١، قم ١٤١٦هـ